المحاضرة الثالثة: مصالي الحاج من حزب نجم شمال افريقيا الى حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية

د. مراد بن حمودة

1. المولد والنشأة:

ولد في 16 ماي 1898 في تلمسان في عمالة وهران والده هو الحاج أحمد مصالي ووالدته هي فطيمة صاري علي حاج الدين، من عائلة تمتهن الفلاحة، له ستة إخوة (ولدين وأربع بنات)، عمل والده في الفلاحة ثم أصبح مقدما في ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني من 1919 إلى وفاته 1938، أما والدته فقد توفيت سنة 1922.

التحق بالكتاب لتعلم مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، بعدها دخل المدرسة الفرنسية "ديسيو" لكنه لم يكمل الدراسة بسبب تغيباته الكثيرة فقررت عائلته إرساله ليتعلم مهنة الحلاقة ثم الاسكافية ثم في التجارة (بقالا) ثم عمل في مصنع للتبغ، ليقرر بعدها العودة للدراسة ، تم تجنيده وهو في سن 18 سنة للخدمة العسكرية حيث تم نقله إلى وهران ومنها إلى بوردو بفرنسا ولحسن حظه أن الحرب العالمية الأولى انتهت لكنه أكمل الخدمة العسكرية إلى غاية 28 فيفري 1921.

كان مهتما بالسياسة منذ صغره فقد استمع لخطاب الامير خالد في تلمسان عند زيارته لها وحضر خطابه الذي اهتز بأهازيج "تحيا الجزائر الحرة" كما حضر في تلمسان خطاب أحمد بهلول ليعرض أفكاره حول القضية الجزائرية وكان ذلك حوالي سنة 1922، وبعد وفة والدته قرر الهجرة إلى فرنسا وفي أكتوبر 1923 وصل إلى باريس وفي منزل السيدة كويتو تعرف مصالي الحاج على إيملي بوسكان والتي ستصبح زوجته فيما والتي أنجب منها طفلان (أحمد 1930بفرنسا، وجنينة 1938 بالجزائر).

في 20 أكتوبر بدأ العمل في إحدى المعامل الفرنسية (معمل للأقمشة ملك لشركة موريس فرينغس وشركاءه)، ثم انتقل لمؤسسة لصهر الحديد والتي لم يبقى إلا حوالي شهرين، ثم وجد عمل في دار للقبعات، ثم عمل عون لتسلم البضاعة عند "لانسال" وفي نفس الوقت بدأ ممارسة التجارة عن طريق بيع مواد تأتيه من الجزائر ليبيعها في باريس وذلك بهدف تحسين مداخيله

2. النشاط السياسي لمصالي الحاج ما بين الحربين :

وفي باريس بدأ ينشط فانضم إلى جمعية الأخوة الإسلامية والتي كان هدفها الاجتماع لتدراس الدين وكانت تضم شخصيات مرموقة وهذا ما ساعد مصالي الحاج، وفي أحد الاجتماعات طلب من الجمعية أن تتدخل لصالح القضية الجزائرية، وفي الاوساط المغاربية كانت أخبار الريف وشخصية الامير عبد الكريم تحظى باهتمام كبير بين أوساط المهاجرين، حضر مصالي

الحاج تجمعات الشيوعيين وذلك في صيف 1924، كما حضر اجتماعات أحزاب أخرى وفي أحد التجمعات الانتخابية للحزب الشيوعي تعرف على الحاج علي عبد القادر، حضر كذلك الاجتماع الذي عقده الأمير خالد في جويلية 1924 وحضر كذلك هذا الاجتماع العديد من الشخصيات أمثال الحاج علي عبد القادر وأحمد بهلول والأستاذ أندري بروتون، وفي ربيع سنة 1925 في دار النقابات نظم تجمع من طرف الحزب الشيوعي وقد كان في جدول أعماله ثلاث نقاط رئيسية : وضعية العمال المغاربيين في فرنسا والمشكلة النقابية والوضعية في الجزائر، وفي هذا الاجتماع تم دعوة مصالي الحاج لإلقاء خطاب وهو أول خطاب لمصالي الحاج أمام الجماهير ونذكر بعض مقتطفاته " إخواني الأعزاء أنا مسرور لوجودي بينكم اليوم، أعتقد أن هذا اليوم يوم عظيم نعيشه إن الله معنا وأتمنى دائما أن يكون معنا، إننا نريد العدل والحرية لبلادنا" وذكر في هذا الخطاب عمر بن الخطاب وأمجاد الامة الإسلامية وليختم كلامه " إن الله قال بأنه يجب عليكم أن تتحركوا ولا بد أن تفعلوا شيئا، إن الله لا يحب المتحجرين ولا يحب اليائسين"، وقد انضم للحزب الشيوعي سنة 1925 .

يعود الفضل في تأسيس نجم شمال إفريقيا إلى المهاجرين المغاربة بفرنسا بقيادة الحاج علي عبد القادر عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ففي بداية مارس 1926 تقرر إنشاء حزب يضم قادة المغرب العربي ليتأسس بشكل رسمي في 15 جوان 1926م بباريس برئاسة الشاذلي خير الدين من تونس، ومصالي الحاج أمينا عاما وشبيلة الجيلالي أمين المال، وبعد طرد الشاذلي خير الدين وانسحاب التونسيين والمغاربة من الحزب أصبح الحزب منذ 1927 حزبا جزائريا بقيادة مصالي الحاج بعد أن انسحب أيضا الحاج علي عبد القادر نتيجة انشغاله بالتجارة، شارك مصالي الحاج باسم النجم في مؤتمر المضاد للاستعمار في بروكسل ببلجيكا ما بين 10 و15 فيفري 1927 فاغتنم مصالي الحاج الفرصة وتعرف على عدة شخصيات عالمية وألقى خلالها خطابه الشهير الذي عرف فيه بالقضية الجزائرية فعرض مطالب جريئة باستخدامه لفكرة الاستقلال لأول مرة، بعد ميل النجم للمطالب الوطنية، أصبح النجم يعاني من ركود نتيجة الضغوط الكثيرة لتي مارسها الشيوعيون فعمل مصالي الحاج على تنشيط الحزب وكذا تصفيته من الشيوعيون.

أعلن مصالي الحاج أن حزبه يسعى من أجل تحقيق الاستقلال التام واستعادة الأراضي المغتصبة وخروج القوات الفرنسية مما أدى إلى انزعاج السلطات الفرنسية من هذه المطالب فقررت حل الحزب في 20 نوفمبر 1929 1929م بدعوة أن أعضاء الحزب يقومون بدعاية مغرضة وأعمال تمس بالسيادة الوطنية الفرنسية، لكن هذا لم يثني مصالي الحاج عن النضال فقد بقي ينشط سرا فأرسل مصالي الحاج مذكرة احتجاج إلى عصبة الأمم بجنيف عرضها فيها القضية الجزائرية ومعاناة الشعب الجزائري، كما حضر المؤتمر الشيوعي العالمي بموسكو، خلال نشاطه أسس مصالي الحاج جريدة الامة، قرر مصالي الحاج وعيمش علي وراجف بلقاسم إعادة تأسيس حزب جديد تحت اسم " نجم شمال إفريقيا المجيد " وفي مؤتمره العام الذي عقد في 28 ماي 1933 وضع الحزب برنامج شامل احتوى على نوعين من المطالب مطالب عاجلة ومطالب آجلة تضمن مايلي :

- مطالبة فرنسا بالاعتراف بالحريات الأساسية
- إلغاء نظام البلديات المختلطة والأراضي العسكرية.

- الاعتراف بحق الجزائريين بالحصول على جميع الوظائف
- التعليم الإجباري باللغة العربية
- إلغاء القوانين الجائرة
- إنشاء برلمان وطني ومنتخب عن طريق الإقتراع العام.
- إنشاء حكومة وطنية ثورية مستقلة بالجزائر تقوم بتشكيل برلمان انتقالي.
- إعادة البنوك والسكك الحديدية والمناجم والأملاك العامة إلى الدولة الجزائرية.
- مصادرة الأملاك كبيرة الحجم.
- التعليم يكون مجانا واجباريا وفي كل المستويات ويكون باللغة العربية.
- تعترف الدولة الجزائرية بحق الإضراب العمل النقابي وسن القوانين الاجتماعية.
- تقديم مساعدات عاجلة إلى الفلاحين وهذا عن طريق تقديم قروض للفلاحين بدون فائدة.

نتيجة لنشاط مصالي المتزايد قامت السلطات الفرنسية باعتقاله بداية من سنة 1934م وابتداء من 1935 بدّأ مصالي الحاج يدعو إلى العنف ضد الإمبريالية الفرنسية كما كثف اتصالاته مع الزعيم شكيب أرسلان، كما عارض الحزب المطالب التي خرج بها المؤتمر الإسلامي سنة 1936م وبداية من 1936م قرر مصالي الحاج لأول مرة نقل نشاط حزبه إلى الجزائر، وبعد نزوله إلى الجزائر عقد تجمعا في 02 أوت 1936م بالملعب البلدي بالعاصمة وأعلن فيه بكل صراحة رفضه للإصلاحات التي اقترحها أعضاء المؤتمر الإسلامي مكث مصالي بالجزائر ثلاثة أشهر قام فيها بهيكلة الحزب داخل الجزائر، وعند عودته إلى فرنسا وبداية من 1937 اتهمته الصحافة الفرنسية بأنه يريد إقامة دولة جزائرية مستقلة، مما أدى بالسلطات الفرنسية إلى حل الحزب في 26 جانفي 1937م، لكن مصالي الحاج لم يثنه ذلك بل قام بتأسيس حزب جديد في 11 مارس 1937 تحت اسم **حزب الشعب الجزائري** (**PPA**) بمطالب معتدلة قليلا لكي لا تقوم السلطات الفرنسية بحله تحت شعار "لا للاندماج ولا للانفصال ولكن نعم للتحرر" أسس جريدة باللغة العربية تحت اسم "الشعب" كما قام بالمشاركة في انتخابات جويلية 1937، ونتيجة لنشاطه المتزايد قامت السلطات الفرنسية باعتقال مصالي الحاج في أوت 1937م، ومع اقتراب اندلاع الحرب العالمية الثانية صدر مرسوم يقضي بحل حزب الشعب الجزائري في 26 سبتمبر 1939م بدعوى أنه يتعامل مع ألمانيا النازية، وقام مصالي الحاج بنشر مقال في جريدة البرلمان قال فيه "إن الجزائر ليست ملحقة بفرنسا " ليتم اعتقاله في 4 أكتوبر 1939 وقد صدر حكم ضده بالسجن لمدة 16 سنة مع الأشغال الشاقة وصدر هذا الحكم في 28 مارس 1941 حيث تم نقله إلى سجن "لامبيز".

3. مصالي الحاج والحرب العالمية الثانية:

رغم الاتصالات الفرنسية العديدة فإن مصالي الحاج تمسك بموقفه رغم الاغراءات الفرنسية والذين عرضوا عليه المساندة مقابل الحرية إلا أنه أصر على موقفه وطالب بالاستقلال حيث قال " إن كنتم تريدون تعاونا حقيقيا، أطلقوا سراحنا، دعونا

نجتمع أصدقائي وأنا، وسندرس إمكانية تبني موقف جديد بناء على الوضع الداخلي والخارجي"، رفض مصالي الحاج وضع توقيعه على بيان فيفري 1943 بسبب أنه مسجون لكنه شارك في المشاورات، حصل على إذن بزيارة مدينة سطيف في 26 أفريل 1943 أين التقى بفرحات عباس والبشير الابراهيمي ونتيجة لهذا اعتقل من جديد في 10 ديسمبر 1943 وتم نقله إلى "عين صالح" بالصحراء الجزائرية ووضعه تحت الاقامة الجبرية ليتم بعده نقله إلى قصر شلالة في 04 جانفي 1944، طالبت حركة أحباب البيان والحرية بإطلاق سراح مصالي الحاج لكن السلطات الفرنسية نقلت مصالي الحاج إلى خارج الجزائر إلى "برازفيل" في الكونغو، طالب أعضاء حزب الشعب الجزائري في 01 ماي 1945 باطلاق سراح مصالي الحاج.

4. مصالي الحاج ونشاطه ضمن حركة الانتصار الحريات الديمقراطية

انتظر مناضلو وأنصار حزب الشعب بشغف إطلاق سراح مصالي الحاج الذي تم يوم 31 جويلية 1946م وقد فاجأ مصالي الجميع عند إعلانه رغبته في دخول الانتخابات وذلك متأثرا بتوجيهات عبد الرحمان عزام وفي نوفمبر 1946م أعلن مصالي الحاج عن ميلاد "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"، ومن اجل تشكيل جبهة موحدة لدخول الانتخابات حاور مصالي كل من فرحات عباس والإصلاحيين المعتدلين لكن الاختلافات أفسدت الوحدة ومع تدخل الإدارة الفرنسية وذلك بتزويرها الانتخابات ما جعل حركة الانتصار لا تتحصل إلا على 05 مناصب و08 مقاعد لمرشحي الإدارة وفي 15 فيفري 1947م دعا إلى مؤتمر وطني ما أدى إلى ظهور ثلاث طوائف وهي:

- طائفة حزب الشعب الجزائري: التي ترى ضرورة الإبقاء على النشاط السري للحزب قصد المحافظة على خطه الثوري وشعبيته.
- طائفة الشرعية: ترى ضرورة إشراك الحزب (حركة الانتصار) في الانتخابات من أجل كسب تأييد أكبر مثل هذه الطبقة (طبقة المثقفين).
- طائفة الشباب الثوري: المتحمس للنشاط المسلح والناقم على العمل الشرعي وترى ضرورة البدء في العمل الثوري.

وقد فصل مصالي في هذا الأمر بترك كل طرف يعمل على حدا وقد خرج المؤتمر بعدة قرارات منها:

- تحرير الجزائر باعتماد كافة الوسائل بما فيها الكفاح المسلح، وتأسيس منظمة سرية لذلك الغرض.
- الموافقة على اعتماد الانتخابات وسيلة من وسائل النضال.
- تثبيت حركة الانتصار الحريات الديمقراطية غطاءا شرعيا لحزب الشعب الجزائري
- تعيين لجنة خماسية (مصالي، حسين لحول، الأمين دباغين، مسعود بوقادوم، أحمد بودة) لتسمية أعضاء اللجنة المركزية.

وبعد انتهاء المؤتمر شرع في تكوين المنظمة الخاصة منذ مارس 1947م وهي منظمة شبه عسكرية بقيادة محمد بلوزداد حددت أهدافها بجمع الأسلحة وتجنيد مناضلين وتدريبهم على القتال وجمع الأموال، وقامت بالعديد من العمليات منها

عملية السطو على بريد وهران سنة 1949، وتداول على رئاسة المنظمة ثلاث رؤساء وهم محمد بلوزداد ثم حسين آيت أحمد ثم أحمد بن بلة والذي استمر إلى غاية اكتشافها في ربيع 1950م.

أرسل مصالي الحاج مذكرة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها المنعقدة في ديسمبر 1948 وهي تقرير شامل جاء تحت عنوان "مائة وثماني عشر سنة من الاستعمار، وفي سنة 1951 سافر إلى أداء فريضة الحج وكذا العمل على إيصال القضية الجزائرية إلى البلدان العربية حيث زار الأمير عبد الكريم الخطابي في القاهرة، وبسبب انعقاد دورة الأمم المتحدة في باريس بين نوفمبر 1951 وفيفري 1952 توجه إلى فرنسا بتكليف من الامين العام لجامعة لدول العربية بهدف تمثيل لحركة الوطنية لدى هيئة الأمم المتحدة، وبعدها عاد إلى الجزائر حيث قام بالاتصال مباشرة بالجماهير من أجل السعي لخوض المعركة لكن السلطات الفرنسية نزعجت من هذه التحركات فقامت بإلقاء القبض عليه ونفته إلى فرنسا وذلك في 14 ماي 1952، وفي اواخر 1952 وضعت قيادة الحزب خطة لتهريب مصالي الحاج من اقامته الجبرية ولكن خلال شهر فيفري 1953 تراجع عن قراره وقرر البقاء في مدينة "نيور"

- **أزمات حركة الانتصار**: واجهت إدارة الحزب صراعات داخلية كثيرة نتيجة انضمام الكثير من الشخصيات وتغير الكثير من المعطيات ما أدى إلى الكثير من التصادمات نذكر منها:

– أزمة دباغين: نشط الأمين دباغين في البحث عن تحالفات مع القيادة الثورية بينما كان حسين لحول الأمين العام الحركة يعتمد على المعتدلين المثقفين هذا الأمر أثار حفيظة مصالي الحاج وقد أدى هذا الأمر إلى خلاف انتهى باستقالة الأمين دباغين من الحزب سنة 1949م

– في سنة 1949م انفجرت الأزمة البربرية فقد برز تكتل يؤكد على الهوية الثقافية للبربر وأصبح يعادي كل ما هو عربي وإسلامي وانغرس هذا التيار أكثر في صفوف الطلبة والمهاجرين ومن أبرز قادة هذا التيار: بناي واعلي ورشيد علي يحي، وقد تجند حسين آيت أحمد وكريم بلقاسم لفرض الانضباط وتهميش العناصر المثيرة للمشاكل.

– في سنة 1950 تم اكتشاف أمر المنظمة الخاصة بسبب فشل محاولة تأديب أحد أعضائها وهو عبد القادر خياري الذي هرب للسلطات الفرنسية، وقد أدت هذه أن تعصف بالحزب لكن أنكر الحزب علاقته بالمنظمة الخاصة ما أدى إلى اعتقال 400 عضو من المنظمة وتشتت الباقي والذي لم يعجبه قرار الحزب بالتخلي عنهم.

– الصراع بين المركزيين والمصاليين: بدأت هذه الأزمة منذ سنة 1950م حين طالب مصالي الحاج بإقرار مبدأ الرئاسة مدى الحياة مما أدى إلى دخوله في صراع مع أعضاء اللجنة المركزية ما جعل حسين لحول من رئاسة اللجنة المركزية، وفي أفريل 1953م دعت إدارة الحزب لعقد مؤتمر، وقد حاول فيه أعضاء اللجنة المركزية إبعاد الموالين لمصالي، وفي سنة 1954م بلغ النزاع ذروته فتطور إلى مشاحنات ومؤامرات حيث عقد أنصار مصالي مؤتمر **هورنو** ببلجيكا من 13-15 جويلية 1954م وقد أصدر قرارا بحل اللجنة المركزية وفصل المسؤولين ومنح الثقة المطلقة لمصالي، وبعدها بشهر عقد **المركزيون** مؤتمر بمدينة الجزائر أدانوا فيها قرارات **هورنو** وقرروا في هذا الاجتماع إقالة مصالي من الحزب.